الولادةُ في الكَعْبةِ المُعَظَّمَةِ

فَضِيلةٌ لِعَلِيٍّ عَليهِ السَّلام خَصَّهُ بِهَا رَبُّ البَيْتِ

شاكر شَبَعْ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين ، وصحبه الاخيار المنتجبين .

أما بعد :

فقد حالفني الحظ في مطالعة كتاب « علي وليد الكعبة » لسماحة الشيخ الحجة الميرزا محمد علي الغروي الاردوبادي تغمده الله برحمته ، وسبرت غوره بقدر ما وسعني ذلك ، فامتلات نفسي إعجابا به وإكبارا له ، ووجدتني مندفعا لتسجيل كلمة تعرب عن مبلغ ارتياحي وابتهاجي بهذا الاثر القيم ومكانته .

ولم يعرني شك في أنه نفحة من نفحات أمير المؤمنين عليه السلام منحها المؤلف فاستأثر بها ، مطلقا العنان لسعة باعه وقوة بيانه المفعم بعناصر التجويد والابداع ، موقفاً الباحث على جلية حديث الولادة الميمونة ، مظهراً في أثناء ذلك مبلغ عنائه في جمع مواده .

ولشدة ما استهواني موضوع الكتاب بدأت أجمع استدراكات له ، تتميماً وتعضيداً ، والذي حداني إلى ذلك ثقتي بأنه قدس سره لو أمد الله في عمره لصنع مثل

ما صنعت ، وبارك لي فيما كتبت ، خاصة أني اقتفيت في هذا التتميم أثره ، وسلكت منهجه .

وقد تجمعت لدي نصوص كثيرة من مخطوط الكتب ومطبوعها ، قديمها وحديثها ، نادرها ونفيسها ، مما كان الوصول إليه والحصول عليه في زمان الحجة المؤلف أمرا عسيرا ، ومجموع ذلك يغني لاثبات صحة الحديث ، والكشف عن اتفاق أهل العلم والفضل عليه .

ولكن الذين (يحسدون الناس على ما ءاتهم الله من فضله) لم تطاوعهم نفوسهم لقبول فضائل الامام أمير المؤمنين عليه السلام ، وهذه أوّلها بما فيها من دلالات عميقة ، فحاولوا تشويهها بشتى الاساليب ، تمريرا لسياسة معاوية في التصدي لفضائل الامام علي عليه السلام ، تلك السياسة التي دبرها وعممها في مرسوم سلطاني يقول فيه :

برئت الذمة ممن روى شيئاً في فضل ابى تراب واهل بيته [1] .

ثم كتب إلى عماله في جميع الآفاق :

إذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس الى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الاولين ، ولا تتركوا خبراً يرويه احد من المسلمين في ابى تراب ، إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة ، فإن هذا أحب الى وأقر لعيني ، وأدحض لحجة ابي تراب وشيعته [2] .

قال الرواي : فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها ! فظهر حديث كثير موضوع ، وبهتان منتشر ! [3] .

وبهذه الجرأة والصلافة ملأوا كتبهم بالاكاذيب الكثيرة ، والفضائل المجعولة ،

---

(1) شرح نهج البلاغة - لابن أبي الحديد - 11|44 عن كتاب « الاحداث » لابي الحسن علي بن محمد المدائني .

(2) المصدر السابق : 11|46 .

(3) المصدر السابق .

والاحاديث الموضوعة .

وحيث لم يطالوا إنكار فضيلة المولد الشريف للامام علي عليه السلام لوضوحه واشتهاره ، بل تواتره والاتفاق عليه ، عمدوا إلى وضع أسلوب آخر لاخفاء أثرها ، وهو ادعاء مثل ذلك لشخص آخر هو الصحابي حكيم بن حزام ، وروجوا لهذه المزعومة حسب الامكانات التي هيأتها لهم السلطة وأعوانها .

وهذه ليست أول خصوصية يحاولون سلبها عليا عليه السلام ، بل هناك غيرها كثير ، منها :

الحديث المتواتر المتفق على صحته : « أنا مدينة العلم وعلي بابها » .

وضعوا قباله حديثاً واهياً هو : « أنا مدينة العلم ، وأبو بكر أساسها ، وعمر حيطانها ، وعثمان سقفها ، وعلي بابها ! » [4] .

وحديثا آخر ، أشد وهنا ، وأظهر وضعاً ، هو : « أنا مدينة العلم ، وعلي بابها ، ومعاوية حلقتها ! » [5] .

ومنها الحديث المتواتر الثابت الآخر : « علي مني بمنزلة هارون من موسى » .

وضعوا قباله حديثاً يشهد متنه وسياقه بوضعه ، فضلا عن سنده ، هو : « أبو بكر وعمر مني بمنزلة هارون من موسى ! » [6] .

ومنها الحديث المتواتر الصحيح الآخر : « لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله . . . » .

وضعوا قباله حديثا مثيرا للضحك والسخرية والاستغراب ، هو : « لاعطين هذا الكتاب رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ! قم يا عثمان بن أبي العاص . فقام عثمان بن أبى العاص ، فدفعه إليه » ؟ ! [7] .

ويكشف عن هذا التلاعب المكشوف ، ويبين أنه كان أمرا معروفا ومألوفا ، قول

(4 و 5) راجع الغدير 7 : 197 - 199 .

(6) راجع الغدير 10 : 94 .

(7) المعجم الاوسط للطبراني 1 : 438 ح 788 ، عنه مجمع الزوائد 9 : 371 .

---

(4)

الزهري في الحديث الصحيح الذي رواه أحمد بن حنبل في « فضائل الصحابة » قال :

حدثنا عبد الرزاق ، قال : أنا معمر ، قال : سألت الزهري : من كان كاتب الكتاب يوم الحديبية ؟

فضحك وقال : هو علي ، ولو سألت هؤلاء - يعني بني أمية - قالوا : عثمان [8] .

واستعراض باقي الامثلة يخرجنا عن موضوع البحث الرئيسي ، وإنما أردنا التدليل على منهج أُولئك في سلب الخصوصية ، وجرأتهم على وضع الاحاديث الواهية قبال الاحاديث السليمة .

هذا رغم ميل بعض العلماء إلى أن ولادة حكيم بن حزام في الكعبة ليست فضيلة ولا مكرمة ، وإنما كانت اتفاقا ولم تكن قصدا ، كما ارتأى ذلك الصفوري وغيره [9] .

وأغرق بعضهم نزعا في الضلال ، ورمى القول على عواهنه ، متحديا ما أثبته مهرة الفن وأئمة النقل ، وأخبت كبار العلماء والمؤرخين بصحته ، ولم يكترث بأسانيده المتضافرة ، وطرقه المتصلة المعتمدة عند كل مؤالف ومخالف ، فقال :

« إن حكيم بن حزام ولد في جوف الكعبة ، ولا يعرف ذلك لغيره ، وأما ما روي أن عليا ولد فيها فضعيف عند العلماء ! ! » [10] .

وقد أجاد الحجة الاردوبادي في الرد عليه ، وتفنيد مزاعمه ، فراجع أواخر باب « حديث الولادة والمؤرخون » .

ولكن نجد رغم ذلك أن محاولتهم فيما يخص فضيلة المولد الشريف في الكعبة المعظمة باءت بالفشل [11] ، فلو

رجعنا إلى مصادر الحديث لوجدنا خلالها ـ مع إثبات

---

(8) فضائل الصحابة 2 : 591 ح 1002 طبعة مكة .

(9) نزهة المجالس 2 : 204 .

(10) أنظر إنسان العيون 1 : 227 .

(11) قال الحافظ شهاب الدين ابن حجر العسقلاني في الاصابة : 4|269 : « كلما أرادوا ـ يعني بنو أمية ـ إخمادها وهددوا من حدث بمناقبه لا تزداد إلا انتشارا » .

---

(5)

تلك الفضيلة للامام على عليه السلام على اليقين والجزم ـ أن من المؤلفين والعلماء والرواة من أعلن أن هذه الفضيلة مختصة بالامام عليه السلام لم يشركه فيها أحد قبله ولا بعده ، مصرحين بذلك بعبارات شتى تدل على حصر هذه الفضيلة للامام عليه السلام بضرس قاطع .

وإليك نصوصها :

« لم يولد قبله ولا بعده مولود في بيت الله الحرام سواه ، إكراما له بذلك وإجلالا لمحله في التعظيم » .

رواها الحافظ أبو عبد الله محمد بن يوسف القرشي الكنجي الشافعي (ت 658 هـ) عن الحاكم أبي عبد الله النيشابورى (321 - 405 هـ) (12) .

وقالها أيضا :

ـ الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان البغدادي ، الشيخ المفيد (ت 413) (13) .

ـ الحافظ يحيى بن الحسن الاسدي الحلي ، المعروف بابن البطريق (533 - 600 هـ) (14) .

ـ الشيخ الثبت أبو علي محمد بن الحسن الواعظ الشهيد النيسابوري ، المعروف بابن الفتال ، من علماء القرن السادس (15) .

ـ الشيخ الوزير بهاء الدين أبو الحسن علي بن عيسى الاربلي (ت 693 هـ) (16) .

---

(12) كفاية الطالب : 407 .

(13) الارشاد : 9 .

(14) عمدة عيون صحاح الاخبار : 24 .

(15) روضة الواعظين : 76 .

(16) كشف الغمة 1 : 59 .

ـ الامام جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي (648 - 726 هـ) [17] .

ـ السيد المحدث جلال الدين عبد الله بن شرفشاه الحسيني ، المتوفى نيف وثمانمائة من الهجرة [18] .

ـ الشيخ المحدث الحسن بن أبي الحسن الديلمي ، من أعلام القرن الثامن الهجري [19] .

ـ الشيخ المؤرخ النسابة جمال الدين أحمد بن علي الحسني ، المعروف بابن عنبة (ت 828 هـ) [20] .

ـ العلامة المحدث السيد ولي الله بن نعمة الله الحسيني الرضوي ، من أعلام القرن التاسع الهجري [21] .

ـ العالم اللغوي الشيخ فخر الدين الطريحي (979 - 1087 هـ) [22] .

ـ العلامة محمود بن محمد بن علي الشيخاني القادري الشافعي المدني ، من أعلام القرن الحادي عشر [23] .

* * *

« ولد بمكة في البيت الحرام ، ولم يولد قط في بيت الله تعالى مولود سواه ، لا قبله ولا بعده ، وهذه فضيلة خصه الله تعالى بها ، إجلالا لمحله ومنزلته ، وإعلاء لقدره » .

---

(17) نهج الحق وكشف الصدق : 232 .

(18) منهج الشيعة في فضائل وصي خاتم الشريعة : 7 ، نسخة مكتبة آية الله الكلبايكاني المؤرخة 1265 هـ .

(19) إرشاد القلوب : 211 .

(20) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب : 58 .

(21) كنز المطالب وبحر المناقب : 41 ، نسخة المدرسة الفيضية المؤرخة 989 هـ .

(22) جامع المقال : 187 .

(23) الصراط السوي : 152 ، نسخة المكتبة الناصرية في لكهنو بالهند ، والتي يظهر أنها بخط المؤلف .

قالها :

ـ أمين الاسلام الشيخ المفسر أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت 548 هـ) [24] .

ـ الحافظ محمد بن معتمد خان البدخشاني الحارثي ، من أكابر علماء العامة في القرن الثاني عشر [25] .

* * *

« ولد بداخل البيت الحرام ، ولم يولد في البيت الحرام قبله أحد سواه ، وهي فضيلة خصه الله تعالى بها اجلالا له ، وإعلاء لمرتبته ، وإظهارا لتكرمته » .

قالها :

ـ الحافظ نور الدين علي بن محمد بن الصباغ المكي المالكي (784 - 855 هـ) [26] .

وحكاها عنه :

ـ الفقيه المؤرخ نور الدين علي بن عبد الله الشافعي السمهودي (844 - 911 هـ) في « جواهر العقدين في فضل الشرفين العلم الجلي والنسب العلي » .

ـ الشيخ علي بن برهان الدين الحلبي (975 - 1044 هـ) في « إنسان العيون » [27] .

ـ الشيخ مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي ، من علماء القرن الثالث عشر [28] .

* * *

---

(24) إعلام الورى : 153 ، تاج المواليد : 12 .

(25) مفتاح النجا في مناقب آل العبا ، نزل الأبرار بما صح من مناقب أهل البيت الاطهار : 115 .

(26) الفصول المهمة : 30 .

(27) عنهما علي وليد الكعبة : 119 .

(28) نور الابصار في مناقب آل بيت النبي المختار : 156 .

« ولد في البيت الحرام ، ولا نعلم مولودا في الكعبة غيره » .

قالها نقيب الطالبيين الاديب الفقيه أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي ، المعروف بالشريف الرضي (359 - 406 هـ) [29] .

* * *

« ولدته ـ أمه ـ في الكعبة ، ولا نظير له في هذه الفضيلة » .

قالها علم الهدى ذو المجدين علي بن الحسين الموسوي ، المعروف بالشريف المرتضى (355 ـ 436 هـ) [30] .

* * *

« لم يولد في الكعبة إلا على » .

قالها :

ـ الحافظ الفقيه محمد بن علي القفال الشاشي الشافعي (ت 365 هـ) [31] .

ـ شيخ الاسلام الحافظ المحدث إبراهيم بن محمد الجويني الشافعي (644 ـ 730 هـ) .

* * *

« ولدت ـ فاطمة بنت أسد ـ عليا عليه السلام في الكعبة ، وما ولد قبله أحد فيها » .

نص على ذلك السيد الشريف النسابة نجم الدين أبو الحسن علي بن محمد العلوي العمري ، من علماء القرن الخامس الهجري .

---

(29) خصائص الائمة : 4 .

(30) شرح قصيدة السيد الحميري المذهبة : 51 ، طبعة مصر سنة 1313 هـ .

(31) فضائل أمير المومنين : مخطوط ، عنه إحقاق الحق 7 : 489 .

(32) فرائد السمطين 1 : 425 .

(33) المجدي في أنساب الطالبيين : 11 .

« لقد ولد عليه السلام في بيت الله الحرام ، ولم يولد فيه أحد غيره قط » .

قالها الشيخ الفقيه أبو الحسين سعيد بن هبة الله ، المعروف بقطب الدين الراوندي (ت 573 هـ) [34] .

* * *

« مولده عليه السلام في الكعبة المعظمة ، ولم يولد بها سواه » .

قالها العلامة عمر بن محمد بن عبد الواحد [35] .

* * *

« . . . فالولد الطاهر ، من النسل الطاهر ، ولد في الموضع الطاهر ، فأين توجد هذه الكرامة لغيره !

فأشرف البقاع : الحرم ، وأشرف الحرم ، المسجد ، وأشرف بقاع المسجد : الكعبة ، ولم يولد فيه مولود سواه .

فالمولود فيه يكون في غاية الشرف ، فليس المولود في سيد الايام (يوم الجمعة) في الشهر الحرام ، في البيت الحرام سوى أمير المؤمنين عليه السلام » .

قالها الحافظ المؤرخ أبو عبد الله محمد بن علي بن شهرآشوب السروي المازندراني (ت 588 هـ) بعد أن ذكر عدة أحاديث في ولادة علي عليه السلام في الكعبة [36] .

* * *

« ولد في الكعبة بالحرم الشريف ، فكان شرف مكة وأصل بكة لامتيازه

---

(34) الخرائج والجرائح 2 : 888 .

(35) النعيم المقيم لعترة النبأ العظيم : 16 ، مخطوطة مكتبة آيا صوفيا ـ تركيا ، وأنظر بشأنه إيضاح المكنون 2 : 661 ، أهل البيت ـ عليهم السلام ـ في المكتبة العربية .

(36) مناقب آل أبي طالب 2 : 175 .

بولادته في ذلك المقام المنيف ، فلم يسبقه أحد ولا يلحقه أحد بهذه الكرامة » .

قالها المحدث الجليل السيد حيدر بن علي الحسيني الآملي من علماء القرن الثامن الهجري [37] .

* * *

« كانت ولادته بالكعبة المشرفة ، وهو أوّل من ولد بها ، بل لم يعلم أن غيره ولد بها » .

قالها العلامة صفي الدين أحمد بن الفضل بن محمد باكثير الحضرمي الشافعي ، من أعلام القرن الحادي عشر [38] .

* * *

« ولد عليه السلام بمكة داخل الكعبة على الرخامة الحمراء ، ولم ينقل ولادة أحد قبله ولا بعده في الكعبة ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » .

قالها كل من :

ـ العالم المحدث الفقيه السيد تاج الدين بن علي بن أحمد الحسيني العاملي ، من علماء القرن الحادي عشر [39] .

ـ العالم الفاضل محمد بن رضا القمي ، من علماء القرن الحادي عشر [40] .

* * *

« ولادة معدن الكرامة في جوف الكعبة ، ولم يولد أحد فيها غيره ، وقد خصه

---

(37) الكشكول فيما جرى على آل الرسول : 189 .

(38) وسيلة المآل : 282 ، نسخة مكتبة آية الله المرعشي النجفي العامة ، المؤرخة 1280 هـ .

(39) التتمة في تواريخ الائمة ، الفصل الثالث ، مخطوط .

(40) كاشف الغمة : 422 " نسخة المؤلف المخطوطة المحفوظة في مكتبة مجلس الشورى ، برقم 2000 .

الله تعالى بهذه الفضيلة ، وشرف الكعبة بهذا الشرف » .

قالها العلامة الفاضل محمد مبين بن محب الله بن أحمد اللكهنوي الانصاري الحنفي (ت 1225 هـ) [41] .

« ولادته في مكة المكرمة في جوف بيت الله الحرام ، ولم يولد أحد غيره في هذا المكان المقدس » .

قالها العلامة الشيخ محمد صديق خان الحسيني البخاري القنوجي (1248 - 1307 هـ) [42] .

* * *

« كانت ولادته عليه السلام في جوف الكعبة ، ولم تتح هذه السعادة لاىٔ أحد منذ بدء الخليقة إلى الغاية ، وإن لصحة هذا الخبر بين المؤرخين المتحفظين على الفضائل صيت لا تشوبه شبهة ، وتجاوز عن أن يصحبه الشك والترديد » .

قالها المؤرخ الشهير محمد بن خاوند شاه بن محمود (ت 903 هـ) [43] .

* * *

« من المتفق عليه أن غيره صلوات الله عليه لم يولد هناك » .

قالها المؤرخ العالم زين العابدين الشيرواني ، من علماء القرن الثاني عشر [44] .

* * *

أما الشعراء ، وخاصة العلماء منهم ، فقد زينوا شعرهم بقصائد في بيان فضائله ومناقبه عليه السلام المروية بالطرق الصحيحة المصححة المتواترة ، تخليدا لذكراه ، وأداء لبعض حقه ، وأثبتوا فيها خصوصية ولادته في الكعبة المعظمة ، ومنهم :

---

(41) وسيلة النجاة : 60 ، طبعة كلشن فيض ـ لكهنو .

(42) تكريم المؤمنين بتقويم مناقب الخلفاء الراشدين : 99 ، طبعة الهند سنة 1307 هـ .

(43) روضة الصفا في آداب زيارة المصطفى ، الجزء الثاني .

(44) بستان السياحة : 543 ، الطبعة الثانية .

العالم الاديب أبو الحسن علاء الدين علي بن الحسين الحلي ، من العلماء الشعراء في القرن الثامن الهجري ، يقول في قصيدة دالية طويلة :

ام هل ترى في العالمين بأسرهم * بشرا سواه ببيت مكة يولد ؟

في ليلة جبريل جاء بها مع * الملأ المقدس حوله يتعبد

فلقد سما مجدا عليٌّ كما علا * شرفا به دون البقاع المسجد (45)

ومنهم العالم المتكلم المحدث الفقيه المولى محمد طاهر بن محمد حسين القمي ، صاحب المؤلفات القيمة النافعة ، المتوفى سنة 1098 هـ ، في لاميته البديعة التي مطلعها :

سلامة القلب نحتني عن الزلل * وشعلة العلم دلتني على العمل

إلى أن يقول :

طوبى له كان بيت الله مولده * كمثل مولده ما كان للرسل (46)

ومنهم الفقيه المحدث الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (1033 - 1104 هـ) صاحب « وسائل الشيعة » ، قال في أرجوزة له في تواريخ المعصومين عليهم السلام :

مولده بمكة قد عرفا * في داخل الكعبة زيدت شرفا

على رخامة هناك حمرا * معروفة زادت بذاك قدرا

فيا لها مزية علية * تخفض كل رتبة علية

ما نالها قط نبيٌّ مرسل * ولا وصي آخر وأول

(45) تجد القصيدة كاملة في الغدير 6 : 356 - 364 .

(46) الغدير 11 : 320 .

ثم شرع بنظم حديث يزيد بن قعنب المشهور [47] .

ومنهم الشيخ الفقيه حسين نجف التبريزي النجفي (1159 - 1251 هـ) ، حيث يقول في قصيدته الهائية :

جعــل الله بيتــه لعلي * مـولداً يا له علا لا يضاهى

لـم يشاركه في الولادة فيه * سيد الرسل لا ولا أنبياها [48]

ومنهم العلامة السيد علي نقي النقوي الهندي اللكهنوي في موشحة ميلادية طويلة ، منها قوله :

لم يكن في البيت مولود سواه * إذ تعالى عن مثيل في علاه

اوتـي الـعلم بتـعليم الاله * فـغذاه دره قـبل الفطام

يرتوي منه بأهنى مشرب [49]

ومنهم آية الله السيد محسن الامين (1284 - 1371 هـ) صاحب الموسوعة القيمة « أعيان الشيعة » ، حيث ذكر في أول باب سيرة أمير المؤمنين عليه السلام ، فصل في مولده ، من موسوعته الآنفة الذكر :

ولدت ببيت الله وهي فضيلة * خصصت بها إذ فيك أمثالها كثر [50]

وله أيضا من مقصورة :

وولدت في البيت الحرام ولم يكن * هذا لغيرك من يكون ومن مضى [51]

---

(47) عليٌّ وليد الكعبة : 36 .

(48) نقلها الشيخ الاوردبادي في علي وليد الكعبة : 69 عن ديوان الشيخ المخطوط .

(49) تجدها كاملة في عليّ وليد الكعبة : 85 - 88 ، والغدير 6 : 33 - 35 .

(50) أعيان الشيعة 1 : 323 .

(51) عليٌّ وليد الكعبة : 108 .

ومنهم السيد حسن بن محمود الامين (1299 - 1368 هـ) .

في قصيدة بائية طويلة :

ولدت في البيت بيت الله فارتفعت * أركـانه بـك فوق السبعة الحجب

وتـلك مـنـزلـة لم يؤتها بشر * بلى ومرتبة طالت على الرتب [52]

ومنهم الفاضل الاديب الشيخ محمود عباس العاملي في قصيدته العلوية المسماة بـ « الدرر السنية » :

مـن مـثله في بيت بارئه ولد ؟ * ذي خصلة قد خص فيها مذ وجد

أمعن بها يـا صاح فكرا واعتمد * وانظر لها النظر الصحيح ولا تحد

من واضح المنهاج وقيت الضرر [53]

والشعر في خصوصية ولادة على عليه السلام في الكعبة كثير ، التقطت منه هنا ما هو أروع إلى السمع وأوقع في القلب .

* * *

بعد هذه المقدمة لابد من خوض غمار حديث ولادة حكيم في الكعبة ، هذه المزعمة الزائفة ، والرواية المجعولة ، وإخضاعها لشيء من البحث والتحقيق والتمحيص ، لكشف زيفها وبيان وضعها ، إذ فيها الكثير مما يوجب الشك والريب في سلامتها وصحتها ، وبراءة ساحة رواتها .

وأول من نسبت إليه وحكيت عنه ، وأقدمهم :

هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، النسابة المعروف ، صاحب التآليف التي

---

(52) أعيان الشيعة 5 : 285 ، دائرة المعارف الشيعية 1 : 153 .

(53) علي وليد الكعبة : 83 .

نيفت على المائة والخمسين ، والمتوفى سنة أربع أو ست ومائتين ، وقيل : الاول أصح .

والكلبي ممن تكالب بعض علماء الجرح والتعديل من العامة على تضعيفه وترك ما رواه ، وعدم الاحتجاج به .

قال الدارقطني وغيره : متروك الحديث [54] .

وقال يحيى بن معين : غير ثقة [55] .

وقال السمعاني : « يروي العجائب والاخبار التي لا أصول لها . . . . أخباره في الاغلوطات أشهر من أن يحتاج إلى الاغراق في وصفها » [56] .

وهذه الاتهامات ضد الكلبي ليس لها وزن عندنا ، لانها ناشئة عن تعصب طائفي ، ومنقوضة بما يخالفها من آراء حسنة في الرجل تدل على خبرته وأمانته .

إلا أنا نشكك في صحة نسبة ذلك القول إليه ، وفي صدق الحكاية عنه .

والمتهم في التقول عليه هو روايته السكري ، فقد نسب إلى الكلبي أنه قال في « جمهرة النسب » :

« وحكيم بن حزام بن خويلد عاش عشرين ومائة سنة ، وكانت أمه ولدته في الكعبة » [57] .

وكتاب الجمهرة من أشهر كتبه ، عده كبار المؤرخين من مصنفاته ، وذكروا أن محمد بن سعد كاتب الواقدي ومصنف كتاب « الطبقات » الكبير رواه عنه مع سائر مصنفاته .

ولكن النسخة التي بأيدينا من كتاب الجمهرة هي برواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري (212 - 275 هـ) عن أبي جعفر محمد بن حبيب بن أمية البغدادي (ت 245 هـ) عن الكلبي .

(54 و55) سير أعلام النبلاء 10 : 101 ، لسان الميزان 6 : 196 .

(56) الانساب 5 : 86 .

(57) جمهرة النسب 1 : 353 .

وهذا خلاف ما أثبته المؤرخون كالنديم والحموي وغيرهما [58] .

وكان لهذا الاختلاف أثر كبير ، ودور مؤثر في متن الكتاب الاصلي .

فقد عمد السكري إلى دس بعض آرائه وأقواله ومروياته في متن الجمهرة ، مصدرا بعضها بـ « قال أبو سعيد » ، هاملا البعض الآخر ، كما قام بتحريف بعض الجمل والكلمات ، أو تبديلها بما يتلاءم وآراءه الفكرية والمذهبية .

وكان هذا ديدن السكري في ما يرويه من مصنفات غيره ، وهكذا صنع بكتاب « المحبر » لاستاذه وشيخه أبي جعفر محمد بن حبيب .

وقد تنبه لهذا الامر محققا كتاب الجمهرة والمحبر .

قال الدكتور ناجي حسن محقق الجمهرة في مقدمة التحقيق :

« لقد وصلتنا جمهرة النسب لابن الكلبي برواية أبي سعيد السكري ، عن محمد ابن حبيب ، عن ابن الكلبي ، ومع ذلك ظهرت فيها إضافات واضحة ، وزيادات ، وتعليقات بينة ، لم ترد في أصل الجمهرة ، بل أضافها الرواة والنساخ .

ولا يستبعد أن يكون أبو سعيد السكري هو نفسه الذي قام بهذا العمل ، حين وجد لديه فيضا من الاخبار ذات الصلة بالانساب » [59] .

بعد هذا كله فليس من المستبعد ، ولا المستحيل ، أن تكون جملة « وكانت أمه ولدته في جوف الكعبة » في ذيل كلمة الكلبي المتقدمة من تلك الاضافات ، والزيادات ، والتعليقات البينة ، المحسوبة « فيضا من الاخبار ذات الصلة بالانساب » .

فإن كانت هذه الزيادة مبهمة بعض الشيء أومشكك في أنها من الجمهرة ، فهي واضحة ، مكشوفة ، جلية في المحبر .

ففي فصل الندماء من قريش :

« وكان الحارث بن هشام بن المغيرة نديما لحكيم بن حزام بن خويلد بن أسد

---

(58) الفهرست : 143 ، معجم الادباء 19 : 291 .

(59) جمهرة النسب : 10 .

ـ وحكيم هذا ولد في الكعبة ، وذلك أن أمه دخلت الكعبة وهي حامل به ، فضربها المخاض فيها ، فولدته هناك ـ أسلما جميعا » [60] .

فالعبارة التي بين شارحتين قد أحدثت فاصلة بين صدر الكلام وذيله ، إذ المراد بقوله « أسلما جميعا » : الحارث وحكيم ، كما يدل عليه قوله المتقدم في أول الفصل المذكور : « وكان حمزة بن عبد المطلب نديما لعبدالله بن السائب المخزومي ، أسلما جميعا » [61] .

على أن هذا الفصل هو في الندماء من قريش ، وليس في ذكر أحوالهم وأحوال أمهاتهم وتاريخ ولاداتهم وكيفيتها .

أضف إلى هذا أن عناوين الفصول والابواب في المحبر انتخبت بدقة لتتلاءم مع محتوياتها ، كما يلاحظ بشكل جلي أنها خالية من الحشو وذكر الامور الفرعية ، اللهم إلا في بعض الموارد التي هي من إضافات السكري .

ففي فصل أسلاف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

« وسالفه صلى الله عليه : سعيد بن الاخنس ـ قال أبو سعيد السكري : سعيد هذا هو الذي قال النبي صلى الله عليه : أبعده الله ، فإنه كان يبغض قريشا ـ بن شريق ابن وهب . . . . » [62] .

وما أشبه قوله « سعيد هذا » بقوله « حكيم هذا » .

وما أشبه الفاصلة بين « بن الاخنس . . . . بن شريق » بالفاصلة الحادثة في الفقرة موضع البحث ، وكل ما في الامر تصديرها بـ « قال أبو سعيد السكري » هنا ، وتركها سائبة مهملة هناك .

لم يكتف السكري بهذا ، بل أضاف في بعض الموارد بهلا وروايات تتماشى مع اعتقاداته المذهبية .

---

(60) المحبر : 176 .

(61) المصدر نفسه : 174 .

(62) المصدر نفسه : 105 .

أذكر منها ما في أواسط فصل « ذكر سرايا رسول الله صلى الله عليه وجيوشه » .

« وفيها غزوة عمرو بن العاص السهمي على ذات السلاسل ، ومعه أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح في جيشه ، وكان استمد ، فأمده النبي صلى الله عليه بجيش فيهم أبو بكر وعمر ، ورئيس الجيش أبو عبيدة بن الجراح .

قال أبو سعيد : فشكا أبو بكر وعمر رحمهما الله إلى النبي صلى الله عليه عمرو ابن العاص ، فقال لهما : لا يتأمر عليكما أحد بعدي . وهذا توكيد لخلافة أبي بكر وعمر رحمهما الله » [63] .

ولست في صدد الخوض في بحوث الخلافة والامامة ، ومن هو أحق بها من غيره ، أو الولوج في مدى صحة حديث

« لا يتأمر عليكما أحد بعدي » وعدمه ، فهذا أمر أشبعه علماؤنا بحثا وتفصيلا ، ولكن أوردت هذا المثال لبيان تلاعب السكري في متون الكتب ، وهدفه من ذلك وغايته .

يقول محقق كتاب المحبر في كلمة الختام :

« وأظن أنه ـ أي ابن حبيب ـ كان يميل إلى الشيعية ، فإنه لا يذكر أبدا أم المؤمنين عائشة ، وسيدنا أبا بكر الصديق ، وسيدنا عمر إلا بكلمة (رحمه الله) مع أنه دائما يذكر ام المؤمنين خديجة وسيدنا عليا بكلمة (رضي الله عنه) رضي الله عنهم أجمعين .

وأيضا قد أثبت جميع ما يعاب به الرجل في سيدنا عمر ، مثل أنه كان أحول [64] .

أو كان قد ضرب ، قبل أن يسلم ، جاريته ضربا مبرحا على قبولها الاسلام ، ربنا لا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا !

فمن أجل ذلك ، فيما أحسب ، أن راويه أبا سعيد السكري يضيف أحيانا إلى

---

(63) المصدر نفسه : 121 و122 .

(64) أنظر المحبر : 303 .

متن الكتاب ما يؤيد رأي أهل السنة والجماعة في أمر الخلافة » [65] .

وقد تحامل كثيرا على ابن حبيب لوصفه عمر بأنه أحول ، وهو أمر خلقي وليس عيبا كما ادعى .

أو إثباته لبعض الحقائق التاريخية الثابتة المروية في جل كتب السيرة والتاريخ كضرب عمر جاريته لانها سلكت طريق الحق وأسلمت .

حتى أنه عدها من الغل جهلا وتعصبا !

ويا ليته أمعن في مسألة تلاعب السكري المكشوف بمتن المحبر ، وإضافاته الواضحة إليه ، حتى يراها عين اليقين ، لكنه تساهل كثيرا وقال " فيما أحسب " فكان من الذين ارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون .

* * *

فإن قيل : لا يهم عدم ذكر الكلبي وابن حبيب لخبر ولادة حكيم بن حزام في الكعبة ، في أصل كتابيهما ، وأنها مما أضافه السكري فيما بعد باعتباره الراوي الاول لهما ، وثبوت نسبة هذه الزيادات إليه ؛ لاننا نروي عن أئمة الجرح والتعديل عندنا توثيقه .

فقد قال فيه الخطيب البغدادي : كان ثقة دينا صادقا [66] .

وقال ياقوت الحموي : الراوية الثقة المكثر [67] .

فما زداه السكري في متن الكتابين نعده صحيحا مقبولا .

قيل لهم : إن ما أثبتناه من التلاعب السافر للسكري في نصوص الكتب ومتونها ، ينافي إطلاقكم صفة « ثقة » عليه ، لان الوثاقة هي الامانة . والثقة : الامين ، يقال :

---

(65) المصدر نفسه : 509 .

(66) تاريخ بغداد 7 : 296 .

(67) معجم الادباء 8 : 94 .

وثقت بفلان أثق ثقة إذا ائتمنته [68] .

وقد بينا أنه لم يكن أمينا في رواية الكتابين ، لخيانته للامانة العلمية المتبعة في الاحتفاظ بالنصوص على ما هي عليه ونقضه قواعد الرواية ، ففتح بذلك بابا للتلاعب المعلن بالكتب والآثار ، لم يغلق إلى عصرنا هذا .

على أنا لو سلمنا أنه كان ثقة كما تدعون ، فروايته هذه مردودة لاكثر من سبب .

منها : الارسال ،

والذي عليه جل العلماء وأجلتهم أنه ضعيف ، مردود ، لا يحتج به .

قال النووي في التقريب : « ثم المرسل حديث ضعيف عند جماهير المحدثين ، وكثير من الفقهاء وأصحاب الاصول » [69] .

وقال مسلم في مقدمة صحيحه : « والمرسل من الروايات في أصل قولنا وقول أهل العلم بالاخبار ليس بحجة » [70] .

وقال ابن الصلاح في مقدمته : « ثم اعلم أن حكم المرسل حكم الحديث الضعيف ، إلا أن يصح مخرجه بمجيئه من وجه آخر » [71] .

وقال النووي : « ودليلنا في رد العمل به أنه إذا كانت رواية المجهول المسمى لا تقبل لجهالة حاله ، فرواية المرسل أولى ، لان المروي عنه محذوف ، مجهول العين والحال » .

وقال ابن أبي حاتم في كتاب المراسيل : « سمعت أبي وأبا زرعة يقولان : لا يحتج بالمراسيل ، ولا تقوم الحجة إلا بالاسانيد الصحاح المتصلة » [72] .

---

(68) أنظر الصحاح 4 : 1562 ، لسان العرب 10 : 371 .

(69) التقريب : 66 .

(70) صحيح مسلم 1 : 30 .

(71) مقدمة ابن الصلاح : 136 .

(72) المراسيل : 15 .